

الفن في الصناعة المصرية

وحاجة صناعتنا الى تربية فنية
للاستاذ سلامة موسى

دعيت ذات مرة إلى زيارة أحد الأصدقاء الميسورين ، ودخات مكتبته وأعجبت ببعض الخزانات التي رتبت على رفوفها الكتب ، فعلق الصديق على إعجابي ، ثم دعاني إلى فتح إحدى هذه الخزانات وطلب إلى أن أقفل الباب ، فلما فعلت أبي الباب أن يقفل لأن الهواء احتبس في الداخل فدفع الباب ، واضطرت إلى التمهّل في الإقفال حتى عاد الباب إلى مكانه وأقفلت الخزانة .

وكان المفزى الذي أراده صديقي أن التجار الذي صنع هذه الخزانة قد أحكم الباب وجعل حروفه تماس حروف الخزانة ، حتى أنه عند ما يقفل بسرعة ينضغط الهواء فيدفع الباب إلى الخارج ، وبديهي أن هذا الإحكام يجعل تسلل الغبار إلى الكتب مستحيلا أو كالمستحيل .

ومثل هذا الإحكام قلما نجده عند نجارين الذين يرضون بما دون الكمال مع قدرتهم عليه لو شاءوا ، ولكنهم يميلون لاعتقادهم أن الزبون يرضى بأقل من ذلك ، وهذا الإحكام هو نفسه نوع من الفن ، لأن الروح الفنية يقتضى الحب والولاء للصناعة التي تمارس مهما تكن مكائتها أو قيمتها .

كنت ذات مرة أبتزه عند ساحل من سواحل النيل التي تصنع عليها الزوارق والسفن الشراعية في دمياط ، ووقفت أتأمل صائعا يعم صبيا كيف يدق المعمار ، ولشد ما دهشت عند ما رأيته ينصح له ويقول بأن طريفته في الدق ليست "معجبة" ، فهو لم ينتقد الدق من حيث أنه فعل أو سريع أو غير ذلك ، ولكنه انتقده من حيث أن يد الصبي وهي ترتفع ثم تقع على رأس المسمار لاتبعث على الإعجاب ، لأنها تخلو من الرشاقة أو لباقة الحركة ولايماءة .

وهذا هو الروح الفني . فإن الصانع الذي يحب صناعته يتوفر عليها بقوة نفسه كما يتوفر عليها بقوة جسمه . فهو لا يستعمل عضلاته ومهارته التي تعلمها ، بل يستعمل ذوقه ، وهو ينفق عليها من نشاطه أكثر مما ينتظر منها من الثمن أو الكسب ، وهو لا ينشد من عمله سعة تباع بل طرفة تفتنى تحمل طابع شخصيته وتكشف عن فنه بل عن حبه وولائه لصناعته .

والفروق كثيرة بين الصانع . فإن مهارتهم في العمل تختلف ، لأن مقدار ما تعلموه من الصناعة يتفاوت . ولكنهم يختلفون أيضا في الأنواع الفنية أى في الاتقان والذوق . فاما الاتقان فإننا نرى التفاوت فيه عظميا بين صانع وصانع . بل هذا الفرق يزداد عندما تقابل بين صناعة مصرية وأخرى أجنبية حتى صارت عبارة " شغل بلدى " وصحة بدلا من أن تكون ميزة . ولنا تنامي عن تفشى الفقريين مجتمعا ورغبة الكثيرين في شراء الرخيص الذى لم ينفق عليه من الوقت والعناية ما يستحق . فإن هذا الفقر من أسباب اللهوجة العامة في صناعاتنا . ولكننا نخطئ اذا كنا نظن أن الرغبة في بيع الرخيص من المصنوعات هى السبب الوحيد لهذه اللهوجة أى لقلة الاتقان والإحكام . فإن صانعنا يهمل لأنه أيضا لا ينظر للنظرة الفنية لسلعته بل يفتن بالنظرة التجارية .

ثم هناك الذوق . وهنا كثيرا ما يمتاز الصانع الأوربى على الصانع المصرى . ذلك أن الأول نشأ في بيئة فنية يعرف البيت الذى رتب أثاثه واختيرت رسومه وصوره ، وعرف المائدة التى تحمل أحيانا طاقة الزهر ، وعرف المدينة الجميلة والمتحف الفاخر الذى يحفل بالتماثيل والرسوم . وهو نفسه قد تعلم القراءة والكتابة منذ أن بلغ السادسة أو السابعة من عمره وصرن على الرسم وطلب اليه الاتقان في الصغير النصف فعرف قدر الاتقان في الكبير الخطير ، فهو قد اتجه منذ صباه اتجاهها فنيا غرسته في نفسه البيئة البيئية التى لا محطى نحن بمثلها في مصر ، لأن فقر الطبقات العاملة عندنا يجعل البيت محروما من هذه المرافق الفنية التى تفرس الذوق في الصبيان كأنه بعض أخلاقهم التى يجب أن ينشأوا عليها ويتعودوها . والواقع أن كثيرا من النقص الفني في الصانع المصرى يعود الى أن ملكاته الفنية لم تجد التربية النافعة في البيت والوسط الاجتماعى ، وإلى أنه أيضا في كثير من الأحيان قد حرم التربية المدرسية الراقية إلا القليل الذى حصل عليه في المدرسة الإلزامية . وليس هذا القليل مع ذلك مضمونا متوافرا لكافة الصانع .

فالنقص في الاتقان والذوق هو الصخرة التى تتحطم عليها صناعاتنا اليدوية . والنقص في الاتقان — سوف يصلح بقوة المزاحمة الاقتصادية بين الصانع . أما النقص في الذوق فيحتاج الى تدريب طويل . لأن الذوق هو زى خاص يفرضه المجتمع في الاشكال والألوان والأناقة والرفقة ، ويحتاج الصانع الى أن يعيش في مجتمع راقى له نزعات فنية لكي يمتاز هو بالذوق الفني .

فإننا مثلا نستبشع اللون الأحمر الصارخ في ملابسنا وأثاثنا وطلاء منازلنا ، ونستظرف الألوان الهادئة التى قد تميل إلى السواد أو الغبرة أو السمرة ، ونحن لا نكتسب هذا الذوق إلا من المجتمع . فالصانع المصرى كما يكسب هذا الذوق في الألوان مجتمعة يكسب أشياء

أخرى منه في الشكل والرفقة والأناقة ، فإذا كان ذوقه متخلفا في هذه النواحي فإن المسئول
هنا هو المجتمع .

ولكن هل هذه الحال تدعو إلى اليأس ؟

كلا . فإن في مصر كثيرا من المدارس الفنية التي يتعلم فيها الطلبة الفنون الجميلة على
أرق مستواها وأحدث تطورها . فإذا يمنعنا أن نأخذ صناعا في الصناعات المختلفة ونجعل
كل فئة منهم تدرس شهرا أو شهرين في هذه المدارس دروسا نظرية وعملية ، كل فرد في الصناعة
التي يمارسها ويتكسب منها . وبالطبع يجب أن تؤدي لهم أجرا عن هذا التعطل . وهذا الأجر
لن يكون كبيرا . فإن صانعنا يقنع بثلاثة أو أربعة جنيهات في الشهر . وهو لن يحتاج إلى
أكثر من شهرين للتعليم والتدريب . وكلاهما ممكن إذا كان النظام داخليا حتى يستوعب
الدرس والتدريب معظم النهار وبعض الليل .

وظننا أن الصناع المصريين يرحبون بهذا الاقتراح . كما أننا جميعا — بجمهورية وصناعا —
سنستفيع منه . لأن الجمهور سيحصل على مصنوعات فنية متقنة ، وكسب الصناع سيزداد . لأن
في الصناعات المصرية ما سيغني عندئذ عن استيراد كثير من المصنوعات الأوروبية . ومع
أن الأوربيين لا يشكون من صناعهم مثل النقص الذي نشكوه فإن مجالهم البلدية تعرض
على إنشاء المدارس المالية التي تعلم الصناع التمهيد والتكامل في صناعاتهم المختلفة ، وهذه المدارس
تتناول عشرات الصناعات التي تمارس في مدينة المحبس أكثر من غيرها .

إننا نرجو أن نصل إلى اليوم الذي نفخر فيه بأن هذا المصنوع من أديم أو خشب أو
معدن أو ورق هو ” شغل بلدي “ أي من عمل اليد المصرية التي مهتت ودربت حتى
انقنت ما تصنع بعد دراية فنية رفعت الذوق ، وجعلت الدقة والأناقة مذهبها مصريا يعترف به
الوطني والأجنبي ما

سلامه موسى

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يحسنه .

حديث شريف